الاسْتَصرَاخُ في شعرِ عصرِ ما قبلَ الإسلام

Shouting in the poetry of the pre- Islamic era

م. د. ضياء لطيف سعيد عطيه
Diya Latif Saeed
المديرية العامة لتربية صلاح الدين
General Directorate of Education, Salah al-Din
E-mail: drdeyaalatif@gmail.com

الكلمات المفتاحية: شعر الاستصراخ–عصر ما قبل الإسلام–إثبات الذات–الاستصراخ بالخيل–الاستصراخ بالسيف والرمح.

Keywords: screaming poetry - pre-Islamic era - self-affirmation - screaming with horses - screaming with sword and spear.

الملخص

يعالج هذا البحث مفهوم الاستِصراخ في شعر عصر ماقبل الإسلام، والدور الذي لعبه كســـلاح في معركة الوجود العربي، والظروف الحرجة التي أملته تلك المحنة، وأوجدته الحاجة، هدفه استنهاض الهمم، وشحذ العزائم، وإجابة دعوة المُستصرِخ، ويُعدُّ شِعر الاستصراخ من أبرز المضامين الشعرية التي جسدت ما يسمى بالتجديد الموضوعي في الأدب العربي ما قبل الإسلام، ومن ثَمةَ يحدد البحث مفهوم شعر الاستصراخ في اللغة والاصطلاح.

Abstract

This research deals with the phenomenon of screaming in the pre-Islamic era, the role it played as a weapon in the battle of Arab existence, and the critical circumstances dictated by the ordeal, and created by need, aiming to awaken determination and sharpen resolve. The pre-Islamic Arab, and from there, the research defines the concept of Shouting poetry in language and terminology.

التمهيد:

أ- لغةً: الاستِصراخُ لفظة مشتقة من مادة "صرخ" فهي تعني : ((الصرخة الشديدة عند الفزع وقيل هو الفزع الشديد. واصطرخ القوم، وتصارخوا واستصرخوا: استغاثوا))(ابن سيده، ١٩٧١:ج ٥/ص٣٦).

والاستصراخ يعني الاستغاثة ويعني الاستنجاد، ففي لسان العرب، ((استنجد الرجل إذا قَويَ بعد ضعف أو مرض، ويقال للرّجل إذا ضري بالرّجل واجترأ عليه بعد هيبته: قد استنجده فأنجده واستنجده فأنجده: استغاثه فأغاثه، واستنجده: استعانه))(ابن منظور،٢٠٠٠ ج ٨/ص٢٢٢) ، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ**﴾ (القصص:١٨). وصرخَ فلان إذا استغاث ، فقال: ((واغوثاه واصرختاه))(الفراهيدي،١٩٦٧: ج٨/ص٣٨٠) ، قال الإمام القرطبي(ت٦٧١هـ): ((فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه، أي يستغيث به على قبطي آخر، وإنّما اغاثه ؛ لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها على الأمم، وفرض في جميع الشرائع...))(القرطبي،١٩٩٩:ج ٧/ص٣٧٢٩).

ومن هنا نخلص إلى أن الاستصرِاخ والاستغاثة والاستنجاد تَصبُّ في المعنى اللغوي الواحد.

ب. اصطلاحاً: لم نعثر في الأدب القديم على تعريف واضح لهذا المصطلح الأدبي، إلّا أنّه ومع تشعّب الدراسات الأدبية الحديثة درج بعض الباحثين المحدثين على تعريفه أو الإشارة إليه؛ فقد عرَّفه عبد العزيز عتيق بقوله: ((هو شعر يقوم على استنهاض عزائم الملوك، لنجدة إخوانهم، ومدّ يد العونِ لهم في قتالهم ضد أعدائهم الذين أطمعهم ضعف قوة هؤلاء الأشخاص، فراحوا يضاعفون من غاراتهم على مدنهم ويهددون أهلها بالاكتساح الشامل))(عتيق،١٩٧٦:ص ٤١٣).

ما نستخلصه من هذا التعريف، أنَّه متقارب ويصبُّ في المعنى ذاته، فهو أدب يتناول هموم القبيلة، وبذلك فهو أدب ملتزم بقضايا المجتمع ، يحدد الأسباب، ويستنهض الهمم، ويجوب الآفاق بحثاً عن الدعم من قبل المستصرخين.

المطلب الأول: إثبات الذات:

تفاوتَ الباحثون في تَعريف مُشابِه محدد للذات، فيرى حامد زهران: أنَّ مفهوم الذات هو ((عبارة عن تكوين عقلي معرفي منظم ومتعلم للمدركات والمفاهيم والتقييمات الشعورية للفرد فيما يتعلّق بذاته، كما هي عليه الذات المدركة))(رتيبة، نجاح ٢٠١١: ص١٢) ، في حين يرى فرويد إلى أنَّ معناه هو((النظام الكلي الذي يشمل كافة الأنظمة الفرعية في الشخصية))(زايد، ٢٠٠٩:ص ٢١) وحينما كوَّن العربي في نفسهِ صور قويّة عن ذاته، أعانه على ذلك في تحقيق

هدفه وبلوغ مراده في الارتقاء والسمو والرفعة وتخْصيص المكانة الإجتماعية، فيرسم على أثر ذلك خطىً واضحة لشخصيته كما يشاء، وهذا الأمر انبثق من شعور طبيعي في تحقيق ذاته.

ومن صور إثبات الذات ما أورده عمرو بن معد يكرب في إجابته للصريخ بكل فخر وقوة ومروءة، قائلاً:(المزرباني،١٩٨٢: ١ج/ص٣٩) .

أعـاذِلُ إنَّما أفنـى شبابـي رُكوبـي فـي الصَريـخِ إلـى المُنادي

وَيَبقى بَعدَ حِلمِ القَومِ حلمـي وَيَفنـى قَبـل زادَ القـومِ زادي

فعمرو بن معد يكرب في هذين البيتين ، ينسب دوام صفة النجدة لنفسه فأتى بلفظ(الصريخ) صفة مشبهة على زنة (فعيل)، وكان من المُفترض أن يأتي بصيغة اسم الفاعل ؛ لكنه أتى بالصفة المشبهة الدالة على الثبوت وأراد بها المُغيث، وهذه اللفظة من الاضداد تطلق على المُستغيث والمُغيث، فأتى بها لينسب لنفسه دوام نجدة الملهوف وأنجاد طالب النصرة والإعانة ورد أي حقّ مسروق.

فَشكَّل بذلك صورة سمعية وخلق خطاباً مع عاذلته التي تلومه لكبره وهاب قوته ؛ ولكنه يرفع سقف الحوار ويرد على عذلها بفخر، فهو يفخر بهذا الضعف والوهن الذي آل حاله إليه ؛ لأنه أفنى شبابه بتحمله المصاعب والمهالك لإجابة دعوة الصريخ ونُصرة المستغيث فلا يعيبه هذا الضعف وذهاب الشباب ما دام سينال الشرف والخلود وبقاء الذكر الحَسِن.

ويمكن القول :((إنَّ التخاذل والتقاعس عن إجابة دعوة الصريخ ينم عن انعدام المروءة وقلة النخوة، كما أنه مدعاة للسخرية وللؤم من القوم بحسب تقاليدهم وعاداتهم وأعرافهم الاجتماعية))(أحمد،٢٠٠٣:ص ٣٤) ، ونجد هذا المفهوم في قول الشاعر بشر بن أبي خازم(طراد,١٩٩٤: ص٧٤):

وَأنـكاسٌ غَـداةَ الرَوعِ كُشفٌ إذا مـا البيضُ خَلَّيـنَ الخُـدورا

مما لا شكَّ فيه، فالشاعر يهجو بني أوس بن حارثة، ويُظهر أنَّهم انكاس مقصرون في إجابة دعوة المُستصرِخ، وأنّهم جبناء لا يثبتون في المعركة، ويولونهم الأدبار، ولا يصدَّقون القتال حين يشتد من الروع، ولا يثبتون عند الزحف ، وتتخلَّى النّاس عن بيوتها من الفزع والهلع والوجل ، وكانت هذه الحالة موجودة في المجتمع العربي في عصر ما قبل الإسلام، فبنو يشكر من البطون اليشكرية التي يشهد تاريخها بالتخاذل في انجاد البطون الأخرى التي تستنجد بها(نبوي،١٩٨٩:ص ١٢٩).

وفي الاحايين يكون الشخص بطيئاً وكسولاً في إجابة دعوة الصريخ، ((بفعل العجز والشيخوخة، إذ يبدأ الإنسان حياته في هذه الدنيا ضعيفاً وينتهي بالضعف، ويعيش بين المرحلتين

حياة الشـباب والقوة والفتوّة ، فإذا ما ادركه الشـيب ظلَّ في اشـتياقٍ دائمٍ وشـوق مميَّز إلى تلك الحقبة))(فراش،٢٠١٧: ٣) ،مُعددٌ قوته وخصـاله وسـطوته ، ونجد هذا المعنى في قول النمر بن تولب(القرشي، ١٩١٣: ص١٦٥):

وَكُنْـتُ صَفـيَّ النّفسِ لا شيءَ دُونَهُ وَقَـدْ صِرْتُ مِنْ إقْصا حَبيبي أَذْهُلُ

بَطيءٌ عَـنِ الدّاعــي، فَلَستُ بِآخِذٍ إلَيــهِ سِلاحــي مثلَ ما كُنْتُ أَفْعَلُ

تَدَارَكَ مــا قَبْــلَ الشّبــابِ وَبَعْــدَهُ حَوَادِثُ أَيّــامٍ تَـضُرّ، وَأَغْفُــلُ

فالشــاعر يختار ما يتأسـف عليه في شـبابه عدم قدرته على الإسـراع في إجابة دعوة الصــريخ، وخوض الحروب معه للدفاع عنه وإغاثته من كربه ومحنته، فهو يتحدّث بلهجة حافلة بالحزن والحسـرة والتلهف والأسـى، على أيام الشـباب التي رحلت، ويجري مقارنة بين حاله في الصِبا، وحاله بعد الشيخوخة والكِبر وذهاب الشباب، بين القوة وبين الوهن والضعف الذي أصابه بعد تقدّم العُمر، ويبين ما له من دوافع للقوة والأنجاد وإجابة الصـريخ في سـابِق أيامه الماضِـيَة، وكيف أنّه بات بطيئاً في إجابة دعوة الصريخ، قليل العزيمة ضعيف الشكيمة بعد أن كان سريعاً في إجابة طالبه واعانته.

ونظراً لذلك أنَّ عصـر ما قبل الإسـلام ، كثرت فيه الغزوات والحروب وما صـاحب ذلك من كثرة القتال، ولا سـيّما أنَّ القتلى من الفرسـان الذين يتجندلوا في ميدان الحرب من أجل اسـتصِـراخ القوم وعزتهم وانجاد النسـاء من السـبي، فقامَ الفرسـان بتلك المَهمة الشَّـاقة، وكانت حياتهم ثمن تلك الغاية التي خرجوا من أجلها، وتبعاً لذلك ظهر غرض الرثاء في البيئة العربية، فالمرأة أسـرع وأخف من الرجل في انبعاث عاطفتها وعمق شـعورها وقدرتها على النواح والبُكاء ، فلا تُدانيها قدرة الرجال على بعث مكامن الشـجو واللوعة والأسـى، ولا يُذكر غرض الرثاء في عصـر ما قبل الإسـلام إلّا وذُكِرتْ الخنسـاء، وكان أخيها صـخر موجوداً في الخِطاب ، إذ إنَّ العلاقة بينهما متينة قبل وفاته؛ لأنه الشـخص الوحيد على حدِ قولها، الذي كان ينجد العشـيرة ويستقبل الضيوف في كلّ وقت، فقالت(طماس،٢٠٠٤:ص ٢٨):

مَـنْ لضيفٍ يَحِـلُّ بالحَيّ عــانٍ بعـدَ صَخرٍ إذا دعـاهُ صُياحـا

فبكاء الخنساء على أخيها صـخر لا ينضـبّ وذكرها لمناقبه ومحاسـنه لا حدود له، فهي الآن تفردهُ بالكرم والمروءة وإجابة دعوة الصـريخ، وهذا ما جعلها تتسائل من للضـيف يكرمه؟ من للداعي يجيب دعوته وينجدهُ؟ فهي تسأل سؤال تعرف إجابته ؛ ولكنها جادت به للمعاني المتولدة

منه كنفي صفة الكرم عن غير صخر فلا أحد بعد أخيها يُكرم الضيفَ ولا دونه سَتُجاب دعوة مُستصِرخ ويُغاث.

وتقول كذلك(طماس،٢٠٠٤: ص٩٨):

يُجيدُ الكِفاحَ غَداةَ الصُياحِ حامي الحَقيقَةِ لم يَنكل

يُحامي عَنْ الحَيّ يَوْمَ الحِفاظِ وَالجارِ وَالضَيفِ والنُزَّل

مرة ثانية تتخذ الخنساء من أنجاد أخيها للمُستصرِخين والمستجيرين به، شعاراً لمكارم أخلاقه ونبراساً لشجاعته ومروءته فهو يُحارب بضراوة وإقدام لأنجاد جاره المُضطهد والمكروب ؛ ولرد الجور عن مستجيره المظلوم ورد حقّه له، فالمرثي في سالف أيامه يبذل نفسه ولا يبالي لأنجاد قومه، إذ ما ارتفعت اصوات المستنجدين مستصرخا، فنجد في سياق الابيات أن الفاظ(الجار، والنزل، والضيف) ، معطوفة على لفظة، (الحيّ)، فهو لا يَنجِد قومه فحسب بل يستبسل في ذلك فيكون لهم ملجأ وطمأنينة. وبذلك استطاعت الخنساء من خلال مراثيها أن تحفظ لأخيها صخر بين المعالي مقعداً يعجز عن نيله الآخرون.

وقالتْ(طماس،٢٠٠٤:ص ٣٦):

يا اِبن القُرومِ ذَوي الحِجي وَابنَ الخَضارِمَةِ المَرافِدْ

وَابنَ المَهائِرِ لِلمَهائِرِ زانَها الشِيَمُ المَواجِدْ

وَحُماةِ مَنْ يُدعى إذا ما طارَ عِندَ المَوْتِ عارِدْ

إنّ استعمال أسلوب النداء في هذا السياق يدلُّ على حالة من اليأس قد يصلها المرء حينما يخسر قابليته على مواجهة المتاعب والمصاعب، ونجدها ((قد نجحت في منح المتوفي حالتي البقاء والخلود في الدنيا في أثناء ذكرها المستمر له من قبل المجتمع))(الدخيلي،٢٠١١: ص٢١٠). فنلحظ أن الأبيات الثلاثة تنتشر وتفوح منها رائحة العواطف الصادقة في حُنُوّ ورثاء فقيدها، ذلك الشّخص الكامِل في الصفات الحميدة والسجايا الحسنة.

وتبقى الشَّاعرة تُعدد فضائِل صخر وخصاله الفضيلة والحميدة وصفاته النبيلة ، بوصفه الشخصية المثالية صاحبة الدور البارز والمهم في تكوين كيان العشيرة وانجاد ذليلُها وعاجزها، وتصرّح في نصّها الشعري وتدعو مُستصرِخها إلى عدم إطلاق صرخاته ؛ لأنه لا يوجد من يتجاوب معه من بعد صخر، في إجابة دعوة الصريخ، فقالتْ(طماس،٢٠٠٤: ص٣٧):

فَإنْ تَـكُ قَـدْ أَتَتَكَ فَـلا تُنـادي فَقَـدْ أَوْدَت بِفَيّـاضٍ مَجيـدِ

تتجسّد في هذا النصّ الشعري، أسمى صور الحزن والأسى، وتذرف الدموع ، إذ جاءت بـ(فإن) شرطية و(تكُ) فعل مضارع ناقص فعل الشرط، مجزوم بسكون النون المحذوفة للتخفيف، فهي تدعو المنادي المستغيث بعدم طلب الاستغاثة الإعانة، فلم يعد هناك من يلبي صرخته، ويرد الشرَّ عنه وينجدهُ ويردُّ كرامته وتنهاه عن النداء بقولها(لا تُنادي)، فهي تخصُّ أخاها بِهذه المكارم وتفردهُ بها فليس للأضياف والمظلومين والمحتاجين سواه يُلبي صرخته.

ونجدها تصفُ أخويها بعباراتٍ تفيض محبّةً وإجلالاً، مُبرزةً ما يتحلّيان به من مروءةٍ وشجاعةٍ وكرمٍ، وكأنها تُريد أن تُخلّد صورتهما المشرقة في ذاكرة السامعين، فقالتْ (طماس،٢٠٠٤: ص٦٦):

أَسَـدانِ مُحمَرّا المَخالبِ نَجـدَةً بَحرانِ في الزَمَنِ الغَضوبِ الأَنمَرِ

فهي تصفهم بأنهم أسود ، وقد أحمرتْ مخالب هذين الشخصين من جراء المعارك والنزالات للذود عن مُستصرِخهم وهذا من باب الاستعارة، وقد اختارت لفظة (الأسد) شبيهاً لأخويها لما يعرف به من الصفات النبيلة ولم تكتفْ بهذا القدر بل جعلتهما بحرانِ سعةً وسماحةً وجوداً وكرماً.

فمن خلال قراءة النصوص الشعرية، نجدها قد كشفت لنا عن تجربة الشاعر العربي الجّادّة في خدمته المستمرة في نشره تجاربه وأخباره وصيته في الآفق وإثبات ذاته، من خلال تمثله لقيمٍ واعراف وعادات مجتمعه في مقدمتها إجابة دعوة الصريخ وانجاده. فإنشغال الشاعر على حرصه في إثبات ذاته والبقاء على موقعها في الريادة كان حسّاً أصيلاً عنده، فنجده كان قد أدرك أن البقاء للمعنى؛ ولذلك نجده قد خلد ذاته بصورة الفارس في الشعر بوصفه المدونة الشعرية أو الأرشيف الذي يحفظ المعنى من عوامل التعرية الثقافية ولذلك بقيت ذات العربي حاضرة في ذاكرة الأجيال بوصفها حسّاً عربياً أصيلاً.

المطلب الثاني: الاستصراخ بالخيل

تُعدُّ الخيلَ ظاهرةً اجتماعيةً وحضارية دعت إليها الحياة الصحراوية القاحلة والمقفرة، فظلاً عن كونها مظهراً من مظاهر القوة، والوفاء ، ويذكر ابن الجوزي ((أنَّ الفروسية أربعة أنواع: أحدها الرمي بالقوس والثاني، ركوب الخيل والفرّ والكرّ بها، والثالث، المداورة بالسيوف والرابع، المطاعنة بالرماح، ، فمن اتمَّها اتمَّ الفروسية))(حنفي،١٩٦٠:ص ٢٧-٢٨).

فكانت الخيل من أهم اللّوازم المُهمة في القتال، وتلبية دعوة المُستغيث والاستجابة لصرخة المنادي، فنجدهم يعدوها بأنّها مطواع سهلة الانقياد ويصفونها بالقوية المفتولة العضلات

الجريئة التي تقتحم الأهوال غير آبهة بخوفٍ، ، فالفرس عدّة العربي في الحياة وذخيرته لوقت الفزع والشدّة والمصاعب وإجابة دعوة الصريخ؛ لذلك لم يكن غريباً من العربي حينئذ أنْ يُعنى بها عناية مميزة وخاصة. فأهمية الخيل بشكل عام في الحرب وبشكل خاص في إجابة دعوة الصريخ، وعِظم قيمتها عند العربي واعتماده عليها لدفع الأخطار والمهالك والالتجاء إليها وقت الحاجة.

ويوضّح لنا الشاعر بشر بن أبي خازم في أبياته الثلاثة، مكانة الخيل بعدَّها عدة الفارس العربي في تلبية دعوة المُستصرخ وانجاده، قائلاً(طراد،١٩٩٤:ص ٢٢) :

صَبَحنـاهُ لِـنَلبِسَـهُ بِزَحـفٍ شَديدِ الرُّكنِ لَيسَ لَـهُ كِفـاءُ

بِشيبٍ لا تَخـيمُ عَنِ المُنادي وَمُـردٍ لا يُرَوَّعُهـا اللِقـاءُ

عَلـى شُعثٍ تَخُبُّ علـى وَجاها كَمـا خَبَّـت مُجَوَّعَـةً ضِـراءُ

وتفسيراً لذلك ، فإنَّ عدتهم هي الخيول الشعث المغبرة من كثرة الجري، مُشبّهاً إياها بالكلاب السريعة التي حُبست عن الطعام أمّا هجُومهم على عدوّهم يكون في الصباح والنّاس نيام بجيش قوي جرّار، لا مثيل له في العدد والقوةِ وأشخاص هذا الهجُوم فتيان لا يخشون القتال، وشيب سِمتُهم الحِنكة لا يماطلون في أنجاد من استنجد بهم.

ونجد الشاعر زهير بن أبي سُلمى يشير إلى الخيل ويؤكد أنَّها من مكملات عدَّة الفارس إذا ما سُمع صوت المستصِرخ وطلب الإغاثة، فإنه يُسرع في الحال لأنجاده وإجابة صريخه قائلاً(فاعور،١٩٨٨:ص ٥٧):

إذاَ مـاَ سَمِعنا صارِخـاً مَعَجَتْ بِنـا إلـى صوتِـه وُرْقُ المَراكِـلِ ضُمَّرُ

إذ استعمل الشاعر في هذا النص الشعري(إذا) ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب .و(ما) زائدة، وهنا يمنح الشاعر زهير، الخيل دوراً حركياً مهماً وبارزاً ، اظهارها في مظهر القوة الساندة للأنجاد ودعوة المُستصرِخ، بوصفها ركوبهُ الذي يقتحم به القتال وعتادهُ الحربي إن أستنصره أحد، فوصف ((إغاثته للصريخ على الخيول كأنّها الريح في سرعتها، ضامرة خفيفة تحات الشعر عنها ، أي يتساقط عن مراكلها، فاسود موضعه لكثرة الركوب عليها في الحرب والإغاثة))(الشمنتري، ١٩٦٩: ج١/ص٢٧٣).

ويبين الأعشى في هذين البيتين ، لكي تكون الخيل معززة للظفر والنصر ؛لابدَّ أن تكون سريعة في عَدوها، لا تهاب الصعاب، ضامرة ذات الخِصر أصيلة ، جريئة لا تخشَ القتال وأنَّ من يحلُّ في جواره فهو آمن ومطمأن ولا يخاف أحداً من الأعداءِ، تحميه وترد عنه خيل

أُدخرت للشدائد، سريعة إلى الصريخ والمُستضعف كأنها السهام في سرعتها، وجريها لمسافاتٍ طويلة من أجل الظفر بالعدو والانتصار لصالحه، فقال(حسين، د.ت: ص٢٠٣):

وَيَمَنَعُه يَـوْمَ الصَّياحِ مَصوُنـةٌ سِراع إلى الداعـيَ تَثُوبُ وتَركَبُ

عناجيجُ مِنْ آل الصّريحِ وأعوجٍ مَغَـاوِيرُ فِيهَـا لـــلأَرِيبِ مُـعَقَّبُ

إذ يرى الشاعر في الحيوان، تُزيد شجاعة الأبطال وبها تتحقق أصعب الأمنيات، وكأنّ الفارس يستمدّ قوته من قوتها وعزمه من عزمها ، وسبيله الوحيد لتحقيق النصر وإعانته في إجابة الصريخ وأنجاده وتخليصه مما وقع عليه من المصاعب والمهالك.

وقال مفتخراً(حسين، د.ت:ص١٣٣):

وَإذا يُـثَوَّبُ صـارِخٌ مُـتَلَهِّفٌ وَعَـلا غُبـارٌ ساطِـعٌ بِعِمـادِ

رَكِبَتْ إِلَيـكَ نَزائِـعٌ مَلبونَـةٌ قُبُّ البُطونِ يَجُلنَ فـي الأَلبادِ

مِـنْ كُـلّ سَابِحَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ تَرْدِي بِـأُسْدِ خَفِيَّـةٍ وصِعَـادِ

وبما لا يدع مجالاً للشك، فإذا ما علا صوت المُستغيث هاتفاً متلهّفاً ملوّحاً بثوبه ويده من أجل أنجاده، مردداً صوته لُيرى ويشتهر، واحتدم الصراع وتعالت أعمدة الغبار في السماء، ركب الشاعر كرام الخيل السريعة والقوية الملبنة أي التي تسقى اللبن، الضامرة البطن والخُصر، متخذاً منها تتمّة لعدتهِ مع العُدة التي يحملُها في أنجاد الصريخ .

ونجد الشـــاعر طفيل الغنوي حينما وصـــف الخيل، جعلها أحد عناصـــر الأنجاد ، فقال(أوغلي،١٩٩٧:ص ١٠٩):

وَكُلُّ فَتَى يَردي إلى الحَربِ مُعلَماً إذا ثَوَّبَ الداعي وَأَجَرَدَ صِلدِمِ

ففي هذا النصّ يصور الشاعر، فرسه كالسلاح لفارسه به يدرك عدوه إذا طلبه وينتصر عليه وتكون المعركة في صالحه، ويُعين صاحبه على مصاعب وحوادث الدهر مهما صَعُبت واشتدت ، وينجد من استصرخ به طالباً الإعانة والأنجاد وهذه المواقف الشجاعة تحسب للخيل وهي من الخطوات النبيلة والصـــادقة، التي فيها يتم التوجه إليها إذا ما علا نداء المُســـتصـــرِخ للنصر والظفر بالأعداء.

ونلحظ الخنســاء كيف حثت وحفزتْ عينيها على البكاء والاســتمرار على هذا المنوال ، وفاءً وصدقاً لأخيها صخر الذي كان يُنجِد الصريخ والعاني على خيل اتعبها كثرة الجري والعدو إلى المُنادي؛ لأنجاده وتخليصه، فقالت(طماس، ٢٠٠٤:ص ٢١):

أَعَيْنِ أَلا فَابكِــي لِصَخرٍ بِـدَرَّةٍ إذا الخَيلُ مِنْ طولِ الوَجيفِ اِقشَعرَّتِ

إِذَا زَجَروها في الصَريخِ وَطابَقَت طِبـاقَ كِلابٍ فـــي الهِراشِ وَهَــرَّتِ

فجاءت في بداية البيت الأول بلفظة(أعينِ) وأرادت يا عينيِ، فحذفت ياء المتكلم واكتفتْ بالكسرة، وبعدها بـــــــ (ألا) وهو حرف تنبيه يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. وكررت أداة الشـــرط(إذا) في عجز البيت الأول، وصـــدر البيت الثاني؛ لإبراز أهمية المعنى، والحفاظ على الوحدة الموضوعية والفكرية بين فقرات النّص الشعري.

وفي الصدد نفسه، قال الشّاعر دريد في رثاء أخيه(عبدالرسول،١٩٨٥:ص ٦٣) :

تَنَادوا فَقالوا: أَرْدَتِ الخَيلُ فارِساً فَقُلتُ : أَعَبدُ اللهِ ذَلِكُمُ الرَدى

فدريد وهو يبكي أخيه نجده يستذكر وفضائله ومحاسنه فكان يجيب من يطلبه وينجد من يستغيث به ، فحينما كان الشاعر يذكر محاسن الميت ومنزلته وخصاله ، كان من الطبيعي أن نجد للمُنجِد حضوراً واضحاً في شعر الرثاء، ، فقد قدم لنا الشاعر شاهداً مفهوماً على الحضور الجلي للمُنجد عند العرب في أنجادهم للصريخ وإجابته حال الوقوع في المصاعب وطُلب الأنجاد.

فاعتناء الشعراء بهذا النوع من أدوات الفروسيَّة، كان اعتناءً بارزاً، ونصوصهم الشّعرية في هذا الحيوان تُبيَّن عجَب هذه المخلوقات التي خلقها الله ســبحانه وتعالى، لما تتســم به من الصِـدق الوفاء والقوة والسـرعة في ركوب المخاطر، وتُسـهم في صـنع القرار والنصـر للفرسـان وكسب المعركة بكل حزم ونشاط وقوة. قال ثعلبة بن عمر العبدي(الضبي، د.ت: ص ٢٨٢):

وَتُغطِيكَ قَبْــلَ السَّوْطِ مــلْءَ عِنانِهــا وإِحْضَارَ ظَبْيٍ أَخْطأَتْهُ المَجادِفُ

بَلِلتُ بها يَوْمَ الصُّراخ مصونة وبَغضُهُمْ يَخُبُّ به في الحَيَّ أَوْرَقُ شَارِفُ

وبذلك يرتفع تقدير الحميمية بين الفارس وخيله لإدراك الأخير له وفهمه بالشكل الصحيح والسليم، والإحساس بما يعكّر مزاجه والتغلب عليها، وعلاقة الشاعر بالخيل هي حسٌ أصيلٌ من جرّاء الملازمة والمصاحبة، فقد قدَّم الشعر العربي نماذج مميزة لهذه العلاقة موضحة فيها التآلف بين الطرفين، وحنوا وإشـــفاق العربي بالحيوان وقوة الحرب التي ترخي وتخفف بثقلها على كلٍ منهما، من أجل السـير على وفق الخطة المرسـوم لها في بالهم، وهذه أمثلة توضـح وتبيّن حب

القوم لخيولهم واعتناءهم واهتمامهم بها لما لها من أهمية وخاصـــيّة فائقة في حياتهم اليومية ولما لها من دور مهم في الأنجاد وإجابة دعوة المُسـتصـرِخ وبذلك فقد نالت مكانة متميزة عند العربي لما لها من وسيلة مهمة في الحفاظ على عرضـه وماله وحياته، ففيها يغنم ويكسب ويستعرض، ويُغيث المُستصرِخ وينجده .

المطلب الثالث: الاستصراخ بالسيف والرمح

وهو يعد من الأسلحة الرئيسة للحرب في شبه الجزيرة العربية، ولاسيّما في عصر ما قبل الإسلام، ((فقد أُستعمل السيف للدفاع والهجوم ؛ ولأنجاد المُستصرخ المخوف ؛ ولرد حقّ العشيرة المسروق، فقد عشق العربي سيفه وتباهى بإحرازه وافتخر بأصالته وقوته وشدّة وقعه في عدوه، والانتصـــار عليه وتفنن العرب في تجميل الســـيوف واكســـائها وغطاءها بماء الذهب والفضـــة))(علي،٢٠٠١: ج١٠/ص٩٥) ، وبذلك عُدَّ الســـيف أهم أســـلحة العربي آنذاك؛ لأنه السـلاح الوحيد الذي يحميه من الخطر الذي يلاحقه في كلِّ حين، فهو لا يفارقه حتى في سـلمه وحربه وحله وترحاله، وحتَّى في وقت هجوعهِ كأنَّه جزء من جســـده، كما يُعدُّ من تقاليد واعراف وزينة العربي في تلك الحقبة، وخير دليل على ذلك كثرة ذكره في أشـــعارهم والتغني به(نســـيمة ،ومريم:٢٠١٢:ص ٢٠). ويقوم تصوّر العرب في عصر ما قبل الإسلام للمُنجد بأنّها أيقونة من أيقونات السعي الذي يُعير المرء على هملهِ أو التخاذل عنه والتكاسل في عدم أنجاده؛ لذلك نراهم يفتخرون بالأمر ويتباهون ويبادرون بإغاثتهم للمُســـتصـــرخ، والمســـتنجد فيهم، قال عنترة بن شداد(طراد،١٩٩٢:ص ٢٠٣):

وَمَـكْروبٍ كَشَفتُ الكَـربَ عَنـــهُ بِطَعْنَـةٍ فَيَصَـلٍ لَمّـا دَعانـــي

دَعانـــي دَعـــوةً والخَيـــلُ تَردي فَمـــا أَدري أَبِاسِمـــي أم كَنانـــي

فَلَـــمْ أُمسِكْ بِسَمعي إنْ دَعانـي وَلَكِنَ قَـــدْ أَبـــانَ لـــه لِسانـــي

فَفَرَّقتُ المَـواكِبَ عَنـــهُ قَهـــراً بِطَعـــنٍ يَسبُقُ البَـرقَ اليَماني

فَكـــانَ إجابَتـــي إيّـاهُ أَنّـــي عَطَفَتُ عَلَيـــهِ خَـوّارَ العِنـــانِ

بِأَسمَرَ مِـــنْ رِمـاحِ الخَطّ لَدنٍ وَأَبيضَ صـــارِمٍ ذَكَـــرٍ يَمانِـــي

وَقِرنٍ قَـــدْ تَركتُ لَـــدى مَكَـــرّ عَلَيـــهِ سَبـائِب كَالأُرجُـــوانِ

وبناءً على ذلك، فالشـــاعر يصـــوّر لنا حال شـــخص مكروب وقد أحاطت به الخيل فاسـتصـرخ مسـتغيثاً به لأنجاده وتخليصـهِ، فكان جوابه له حين دعاه وطلب منه الأنجاد ((أن عطف عليه بخيلٍ خوار العنان شجاعة، أي سهل العنان، قد اعتاد الخوض في الحروب والدخُول في المضايق والمهالك))(اليوسي،١٩٨١: ج٢/ص٦٧) ، وقد فرّج كربته وأنجده بضربة فيصل ؛ أي ضربة رجل إذا ضرب فرّق القوم، وما يدري أن ناداه بإسمه أم كناه لما كان وقتذاك، من شدّة حماس الحرب، أو لربما لحرصـــه على إجابته وأنجاد صـــريخه، ثم بيَّن أنَّه لم يتوانْ أو يمســك سـمعه وبصـره عن الصـريخ الذي بأمس الحاجة لأنجاده؛ ولكن إجابته كانت باللسـان والبنان، وبعدها في الأبيات الأخيرة ، يذكر أهم عناصر المُنجِد واكتساب الفوز لصالحهِ. ويُعدُّ السيف في نظر العربي هو السـلاح الأوحد الذي يحرص عليه ويحمله ويسـتعمله في حربهِ وسـلمهِ، أمَّا الأسلحة الأخرى بالنسبة للسيف فهي ثانوية مجالها خوض غمار الحروب والمعارك، ويُعدُّ سلاحاً شخصياً له ، يداومه كظله ولا غنيٍ له عن هذا السّلاح، وعلى هذا المبدأ أبدع شعراء عصر ما قبل الإسلام في استعماله وامكاناته المهّارة ونعته نعتاً دقيقاً تاماً ومتكاملاً.

ويصـف الشـنفرى الأزدي سـيفه القاطع، مشـبّهاً إياه بلون الملح لنقاء حديده وشـدة بريقه وعظيم أثره لمن يهب ويهرع للاستغاثة وانجاد الصريخ، فقال(يعقوب،١٩٩٦:ص ٣٦):

إذا فَزِعـوا طـارَت بِأَبيَض صارِمٍ وَرامت بِمـا فـي جَفرِهـا ثُمَّ سَلَّتِ

حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ صافٍ حَديدُهُ جُـزَارٍ كأَقطـاع الـغَديرِ الـمُنَعَّتِ

ففي هذين النَّصـين ، إنَّ وصـف السـيف باللون الأبيض عائد إلى جودة هذا اللون من الحديد الذي كان يُصـنع منه، وقدرة شـعراء عصـر ما قبل الإسـلام على وصـفه بهذه الصـور العديدة، عائد إلى نبوغهم ورحابة فكرهم وخصـــوبة خيالهم وقوة شـــاعريتهم . وهو العُدّة التي يعتمدون عليها في إجابة دعوة الصـــريخ، ومواجهة الخطر بعد الخيل، وعلى وفرة العتاد الحربي وجودته تتوقف الحروب ونتائجها الحاسمة، فما أُعِدَ خير إعداد كان أحسن ما يصلح للقتال وحيازة الفوز وجعل المعركة لصالحه.

لقد قدَّس العربي معداته الحربية وعظَّمها أجل تعظيم؛ لأنَّه بها يُنجِد من يســتنجد به ويحافظ على حياته وقت الذعر والفزع، فقد عشق القوم بسلاحهم وخيلهم، لاسيّما السيف، ونهاية ذلـك كـان ((من أجـل الحراســـة والحفـاظ على مكملات ومتممـات المُســـتصـــرِخ لديهم))(صيام،١٩٨٢:ص ٣٣٨) ، وعلى هذا الأساس قال المنتخل الهُذلي(البغدادي،١٩٩٧:ص ١٣٩):

شَرِبْتُ بِجَمَّهِ وَصَـدَرتُ عَنْـــهُ، وَأَبَيَضُ صَـارِمٌ ذَكَـرٌ إباطـــيّ

كَلَــوْنِ المِلْــحِ ضَرْبَتُــهُ هَبِيــرٌ، يُتِرُّ العَظْــمَ، سَقَّــاطٌ، سُراطِـي

بِهِ أَحْمَـي المُضافَ إذا دَعانـي وَنَفْسي سَاعــةَ الـفَزَعِ الفِــلاطِ

ولعل ولع وعشِـق الشـعراء بلون وبياض السـيف خاصـةً، هو كناية عن ميزة المضـاء، وشدة القطع والحدة، وجودة المعدن، وبعدها ينعت الشاعر سيفه، مشبّهاً بريقه ولمعانه بلون الملح فهو صافٍ، عذب المعدن، يمر في الضريبة كأنه يلتهم كلَّ شيء ويبتلعهُ(ابن منظور،٢٠٠٠:ج ٢/ص٣١٣).

وعليه فإن كلام الشعراء عن الأسلحة لم يكن كلاماً سطحياً أو عابراً، بقدر ما هو مناجاة وإعجاب لها لما كان من أثرٍ بارزٍ في حياتهم اليومية، وكلامهم واهتمامهم مبنيٌ على كلّ جزء ومفصـلية من مزاياها وجوهرها ومعدنها، حيث أن القارئ يسـتشـعر بأن الكلام يخرج من قلوبهم خالصاً دقيقاً عذباً، ويتغنون فيها في مواضـع الشدَّة وينشدونها في معاركهم، لما لها من خاصـيّة سبق ذكرها في أنجاد المحتاجين وأنجاد الصريخ، قال الشّاعر لبيد بن ربيعة(الطوسي،١٩٩٣:ص ١٦١):

وَمُبَلَّــغٍ يَوْمَ الــصُّراخِ مُنَــدِّدٍ بِعنَــــانِ دَاميــةِ الفُروج كَلِيـمِ

فَرَّجــتُ كُرْبَتَهُ بِضَرْبَةِ فَيْصَلٍ أو ذاتِ فَــرْغٍ بالدَّمــاءِ رَذُومِ

ومن هذا المنطلق، نلتمس التطويل في الصوت ومده هنا، إذ يبدو أنَّ الموقف شديداً جداً ممَّا يستدعي من المنادي أنْ يجدَّ في النداء ويكرر ويمد صوته طالباً الأنجاد فالشّاعر يصوّر لنا سيره إلى المُستصرِخ، وتقديم الإعانة له عن طريق حسامه، إذ ((يفتخر الشاعر هنا بتفريج كربته عن طريق أحد عناصـر الرجولة في ذلك العصـر ألا وهو السيف، الذي لا يمكن الاسـتغناء عنه في سلمٍ أو حربٍ، وباقي الأسلحة تكون إضافية تدخر للشدَّة))(حنفي،١٩٦٠: ص١٦٩).

-**الرمح:** اسـتعملت العرب الرماح في معاركهم وحروبهم وغاراتهم وانجاد من يسـتغيث بهم، وهي آلة الطعن في الحرب اسـتحسـنها عرب عصـر ما قبل الإسـلام، كجزء من عُدِة الفارس وأحد عناصر المُنجِد.

و((هي آلة على شكل عمود طويل في رأسـه حدية تسـمى سـنان، ولا يعد الرمح سـلاح شـخصـي بحت، بل يغلب اسـتعماله في الحروب كما يعد من أسـلحة الطعن النافذة التي تشـقُّ طريقها في جسـد من يرمي به))(اللوقة،٢٠١١: ص٩٧) . فقد تكلَّم الشـعراء في شـعرهم عن الحالات والميزات المحبوبة في ((الرماح وأبرزوا عناية خاصـة لأسـنّة الرماح الصـافية والنجيبة، اللامعة الحادّة والقاطعة الماضـية، اللَّماعة، فأجودها لديهم ما كان صـلب متين غير أجوف،

معتدلاً مطّرداً ، ليس به انحراف وتقوّس وشـكله ليس بطويل ولا قصـير))(الجندي، د.ت: ص ١٤٣-١٤٤).

عشـق الشـعراء رماحهم واهتموا بها اهتماماً واعتناءً بالغاً، وانشـغلوا بأمرها كثيراً، وتفننوا في مدحها والتعلّق بها؛ لأنّ بها ينُجد المُسـتصـرِخ. قال الشَّـاعر قيس بن الخطيم(السـامرائي، ومطلوب،١٩٦٢: ص٢٩):

وَنَحـنُ الفوارِسَ يَـوْمَ الرَبيعِ قَـدْ عَلِموا كَيفَ فُرسانِهـا

جَنَبنـا الحِرابَ وراءَ الصـريخِ حتَّـى تَقصـفُ مرانِهـا

وبذلك نجد الشاعر يقارع بالرمح والسيف، تعظيماً ورفعةً ، ولم تكنْ أهميته أقل من أهمية السيف بالنسبة للفارس المقدام في الحرب، فدائماً ما يدور ذكره إلى ناحية السيف. قال عمرو بن كلثوم(ميدان،١٩٩٢: ص٥٤):

نُطاعنُ مـا تَراخى النّاسُ عَنّـا وَنَضرِبُ بالسُيوفِ إذا غُشينـا

بِسُمرٍ مِـنْ قَنـا الخَطَّيَّ لُدنٍ ذَوابِـلَ أَو بِبيـضٍ يَختَلينَـا

إنَّ الفارس العربي لم يكتفْ بحمل الرمح فحسـب، بل كان حريصـاً على معرفة معدنه، وكيفية صـنعه ليطمئن إليه من جانب، ويفتخر ويتباهى به في محافل القوم والعشـيرة من جانب آخر ،إذ استعمل في صدر البيت الأول فعل المضارع(نُطاعن)، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره نحن، و(ما) ظرفية مصدرية، ويؤكد أن طعنهم للأبطال بالرماح إذما اقتربوا منهم وضربهم بالسـيف إذما ابتعدوا عنهم؛ أي، شـأننا طعن من لا تناله سـيوفنا، مشـيراً إلى أنّ عدتهم سـيوف بيض حادّة بتّارة قاطعة ورماح سُمر ليّنة من رماح الرجل الخطي، يريد سمهراً، وعادةً ما تُوصف الرماح بالسمرة دلالة على نضجها في أصلها ومنبعها.

وبذلك فقد ألتفت العرب إلى آلية حمل السلاح، ولاسيّما ((الرمح، وهم بذلك يتميزون عن باقي الأمم الأخرى، وأحياناً يتمايزون فيما بينهم، فالرمح اختلفت القبائل في طريقة حمله فبعضـها كان ينصبه عمودياً في الهواء وبعضها كان يضعه على كاهل الخيل بشكل عرضي، وغير ذلك من الطرائق والأساليب))(كيالي، ٢٠١١: ص١٤٥).

حفل الأدب العربي في عصر ما قبل الإسلام بصورٍ كثيرة لما كان عليه السّلاح ويتمتع به من مكانةٍ مرموقةٍ ومتميزة في المجتمع، ومن الطبيعي أن يُضـاعفَ العرب من الحديث عن أسلحتهم وعدتهم فهي قوتهم الثانية التي يعتمدون عليها في انجادهم وإجابة صـريخهم ومغامراتهم مع القوة والجرأة التي يمتلكونها، فالعربُ تجد المُنجِد والحماية الدائمة والتأهب الدائم لنصـرة

المُضــطر وإعانته_ ســواء كان من داخل القبيلة أو من خارجها– أمر تقضــيه العادات والتقاليد والأعراف وتفرضه المنظومة الاجتماعية والتضامن الاجتماعي، وهاتان الركيزتان ستخلقان حاجزاً رادعاً لأي محاولة تفرقة. وعليه فإن الوحدة ليست مبنية على أسس أيديولوجية أو عرقية بل على أسس الثقافة المشتركة، والقيم الإنسانية التي هي متشاركة بين كل أفراد المجتمع مهما اختلفوا في ظاهرهم، قال دريد بن الصمة(عبدالرسول،١٩٨٥: ص١٧٦–١٧٧):

أَعــاذِلُ إنَّما أَفنــى شَبابــي رُكُوبِيَ في الصريخِ إلى المنُادي

مَعَ الفِتيانِ حَتّى كَـلَّ جِسمي وَأَقرَحَ عاتِقــي حَمــلُ النِجــادِ

أَعــاذِلُ إنَّــهُ مــالٌ طَريــفٌ أَحَبُّ إلــيَّ مِــن مــالٍ تِلادِ

أَعاذِلُ عُدَّتــي بَدني وَرمــحي وَكُــلٌّ مُقَلَّـصٍ سلِسِ القِيــادِ

وَيَبقــى بَعدَ حِلمِ القَومِ حِلمي وَيَفْنــى قَبــلَ زادَ القَــومِ زادي

فدريد في هذه الأبيات يفتخر بشجاعته وانجاده لمن يطلب المساعدة والإعانة على الرغم من لوم عاذلته على خوض غمار الحرب، في حين نجده يُسارع إلى نجدة المُستصِرخ به ((من لوم العاذلة المخوّفة من خوض غمار المنية، وامتطاء صهوة الخطر؛ إلا أنّه يجيب المُستصرِخ ويتهيَّأ لأنجاده، ولم يهتمْ ما دام ينتصر لقيم العشيرة وسجاياها وطبائعها الحَسِنة، وقد وجد دريد في هذه الأبيات مخرجاً للكلام عن مناقبه وفروسيته))(طاهر، وزيد،٢٠٠٩:ص ٤٩) ، واستعمل الشاعر ألفاظ صريحة وواضحة في هذا النص، منها(العذل، والصريخ، المنادي) مع استعماله أفعال تقتضي تشكيل الصورة من خلالها، مع التجانس الصوتي التي تستدعي الاختيار اللفظي الذي جاء به الشّاعر، وبرزت فيه شجاعته واختياره للبحر الوافر ذلك البحر الذي استوعب الاحتدام والانفعال النفسي والضغط على الأصوات لتأكيد المعاني وتقوية النغم الموسيقي مع السرعة في الأنجاد وإجابة المُستصِرخ. وأكّد أن عدته للحرب فرس سهلة الانقياد وسيف ورمح. أمّا ممدوح الطفيل الغنوي فيطير إلى شدائد الأمور وعظائمها ؛ لأنجاد المُستصرِخ–كالأسد المفترس الذي لا يرهبه الموت ولا يثنيه صراع أو قتال، فنجد رمحه يتصبب وينزف دماً حينما تشتد الحرب وترتفع صرخات المُنادي لأنجاده ، فالشاعر كرر كلمة(أَعاذلُ)، في بداية البيت الأول، والثالث والرابع واستطاع بهذا التكرار أن يُحدِث نغمةٍ موسيقيةٍ إلى جانب موسيقى البيت الشعري. ونجده يتحدَّث عن هذه الرؤية حديث الشخص المتحسَّر الذي يريد أن يصل إلى التأكيد على رؤيته التي يؤمن بها. قال(أوغلي،١٩٩٧:ص ٧٠):

مِنَ القوْمِ لم تُقلعْ براكاء نجدةٍ مِــنَ النّــاس إلَّا رمحــهُ يتصببُ

إلا أن عنترة بن شـــداد كان يفتخر في كونهم العادلون إذا ما دعوا لطعن الرماح الســـمهرية، نسبة إلى مثقف الرماح ، والغالبون إذا ما امتطوا الجياد العتيقة من سُلالة ونسل مُعْوَجّ والموقدون لنيران الحرب بكلّ قوة وجرأة قلب وشجاعة، إذ قال(طراد،١٩٩٢: ص٥٠):

وَنَحـــنُ المنصفـونَ إذا دُعينـــا إلـــى طعْنِ الرّمـــاحِ السَّمهريَّـــةِ

وَنَحـــــنُ الغالبـــونَ إذا حملنـــا علـــى الخيـــلِ الجيادِ الأعوجيـــةِ

وَنَحـــنُ الموقـــدونَ لكـــلّ حـــربٍ ونـــصلاهـــا بأفئـــدةٍ جريـــــة

يوضّـــح تكرار ضـــمير الجماعة(نحنُ)،هذا عن توكيد الشـــعور بالذات وتضـــخيمها وهذا الشـــعور جعل الشـــاعر يُكرر هذا الضـــمير على هذه الشـــاكلة. وإن كل بيت من هذه الأبيات الثلاث، قد بدأ بالضـــمير (نحنُ)، وهذه البدايات المتســـاوية في الشـــكل اتبعت بفعل مختلف عن الآخر، وكلُّ نص شـــعري قدّم جانباً من جوانب الشـــعور بالذات والقدرة على ممارســـة الفعل الذي تراهُ مُجيداً.ونلحظ أن هذه الأبيات تمكّنت بأســـلوبها التكراري أن تجعل الســـامع أو القارئ واقعاً تحت سلطان التوقع والتنبؤ؛ وذلك بأن يورد الشاعر الضمير نفسه مقدماً مفهوماً جديداً في إطار الجوّ العام الذي يتكلَّم عنه ويقصده.

وفي أسلوب آخر استطاع الشَّاعر طفيل الغنوي أن يصف واقعية أنجاد من استنجد به وإجابة صريخه، قائلاً(أوغلي،١٩٩٧:ص ٩٢-٩٣):

وَمَستلحِمٍ تَحتَ العوالـــي حميتـــهِ مُعَمَّمِ دَعـــوى مُسْتَغيثٍ مُجَلّـــلِ

فَفَرّجتُ عنـــه الكَرْبَ حتَّـــى كأنَّما تأوَّى من الهيجا إلـــى حوزِ معقلِ

برماحـــةٍ تنفـــي التـــرابَ كأنَّهـــا هَرَاقَـــةُ عَـــقّ مـــن شَعبَيي مُعَجَّلِ

فجاء الشّاعر في صدر البيت الأول بلفظة(مستلحِمٍ) بصيغة مفعول، وهو المستحلق في القرابة والجوار، ولا بد من التأكيد على أن هذه الأبيات تشير إلى تفريج كُربة المستغيث رمية شديدة الدَّفع تخفي التراب بالدّم من شدَّتها ووقعها.

واستخلاصـاً لما سبق: إنَّ الشعراء لم يتوقفوا عند ذكر آلات الحرب، بل أخذوا في بيان أهميتها والحديث عن أثرها وذكر أســـمائها وصـــفاتها ومدى اهتمام العربي في عصـــر ما قبل الإســـلام بها وحرصـــه على اقتنائها وامتلاكها، لما لها من دورٌ بارزٌ ومهم في الحياة البدوية في ذلك العصـــر، إذ اجتمعت الكثير من القصـــائد ببيان عُدد الحرب وأســـلحتها وآلاتها من رماح وسيوف ، وإن كانت السيوف وأغلبها دوراناً وتجوالاً في موضوع إجابة دعوة الصريخ .

الخاتمة وأبرز النتائج:

١- من صور الأنجاد عند العربي أن يُلبي نِداء الصريخ، ويهرع ويتأهب لأنجاده، ويُسارع إلى الإجابة غير سائل ومُستفْهِم عن السبب مدققاً في التفاصيل، فلا يتقاعس ولا يتماطل ولا يتردد، وإنَّما يتابع هدفه الذي قصده بكلّ حزم وعزم وقوة وجرأة.

٢-إتّضَحَ أنَّ للمُغُيث عناصر مهمة، كالأسلحة بمختلف أنواعها وتسمياتها والخيل بما تحتل من مكانة متميزة وبارزة، إذ كانت رمزاً للشجاعة والكرامة والقوة، والوفاء وعدَّها العرب جزأ لا يتجزأ من حياتهم اليومية لا سيَّما في الترحال والتنقل والحروب.

٣- اعتمد الشعراء في تقارير صفات الخيل من تكرارها وإعادة المعاني بصورٍ شتّى، الأمر الذي جعل الصفات المفضلة لديهم تبرز بوضوح عالٍ.

٤- عُدَّت الذات محور اعتناء العربي فَعمدَ إلى تعظيمها وتهذيبها، وهي من البواعث النفسيَّة للمُنجِد، وبذلك لَعِبَ هذا المفهوم دوراً كبيراً ومهماً في تأثيره على اتساق السلوك الإنساني وكثيراً ما نراه سعى بصورة أو بأخرى إلى إثبات ذاته وإذاعة خبره بين الناس، فدائماً ما نجده فخوراً بنفسه معتدّاً بها مكافِحاً في سبيل إخفاء كل معايبها.

٥-كان العربي لا يتكاسل ولا يتثاقل ولا يتردد في إجابة نداء المُستصرِخ عند سمعه صوته، وإلّا لحقه الخزي والعار في مجتمع يُقدِّس القيم الخُلقية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١- ابن سيده علي بن إسماعيل، ١٩٧١، المحكم والمحيط الأعظم (ط١) ،تحقيق: إبراهيم الأبياري، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية.
٢- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، ٢٠٠٠م ، معجم لسان العرب (ط١)، دار صادر ، بيروت.
٣- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم(١٧٠هـ)،(١٩٦٧)، كتاب العين، (ط١)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٤- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن محمد ، ١٩٩٩ الجامع لأحكام القرآن (ط٢) ، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار الفكر، لبنان.
٥- عتيق, عبدالعزيز، ١٩٧٦ ،الأدب العربي في الأندلس (ط٢)، دار النهضة العربية، بيروت.
٦- زايد فهد خليل، ٢٠٠٩، تطوير الذات الاتصال الفعَّال بين الأفراد والجماعات (ط١) ، دار النفائس، الأردن.
٧- المزرباني، محمد بن عمران،١٩٨٢، تصحيح وتعليق: ف كرنكو، معجم الشعراء (ط٢) مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٨- أحمد ماهر، ٢٠٠٣، الأسرة في الشعر الجاهلي(دراسة موضوعية فنية) (ط٢)، دار البشير، عمان–الأردن.
٩- طراد، مجيد، ١٩٩٤، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي (ط١) ، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.
١٠- طراد، مجيد،١٩٩٢ ، ديوان عنترة بن شداد العبسي، الخطيب التبريزي (ط١) ، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١- نبوي، عبد العزيز، ١٩٨٩، ديوان بني بكر في الجاهلية (ط١)، مطبعة الميداني، القاهرة، مصر.
١٢- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، ١٩١٣م جمهرة أشعار العرب (ط٢) ، دار صادر، بيروت.
١٣- طماس، حمدو، ٢٠٠٤ ، ديوان الخنساء (ط٢) ، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
١٤- الدخيلي، حسين علي،٢٠١١ ، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي (ط١)، دار ومكتبة الحامد، عمّان- الأردن.
١٥- حنفي، سيف ،١٩٦٠، الفروسية العربية في العصر الجاهلي (د. ط)، دار المعارف، القاهرة- مصر.
١٦- فاعور، علي حسن ،١٩٨٨، ديوان زهير بن أبي سُلمى (ط١) ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
١٧- الشمنتري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عبس(ت٤٧٦هـ) ،١٩٦٩، أشعار الشعراء الستة الجاهليين (ط٣) ، تحقيق: سعد خفاجي، بيروت، لبنان.
١٨- حسين, محمد،(د. ت) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس،(د. ط) ، مكتبة الآداب.
١٩- أوغلي، حسان فلاح، ١٩٩٧، ديوان الطفيل الغنوي، شرح الأصمعي (ط١) ، دار صادر، بيروت.
٢٠- عبد الرسول، عمر، ١٩٨٥، ديوان دريد بن الصمة (د. ط)، دار المعارف، القاهرة- مصر.
٢١- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم (د. ت)، المفضليات (ط٦)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف، القاهرة – مصر.
٢٢- علي، جواد(ت١٤٠٨هـ)، ٢٠٠١ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط٤)، دار الساقي.
٢٣- اليوسي، نور الدين(ت١١٠٢هـ)، ١٩٨١ ، زهر الأكم في الأمثال والحكم (ط١)، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

٢٤- يعقوب، اميل بديع، ١٩٩٦ ، ديوان الشنفرى الأزدي (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
٢٥- البغدادي، عبدالقادر بن عمر(ت١٠٩٣هـ) ، ١٩٩٧ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (ط٤)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٦- الجندي، علي، (د. ت), شعر الحرب في العصر الجاهلي (د. ط) ، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.
٢٧- السَّامرائي، إبراهيم، ومطلوب، أحمد، ١٩٦٢، ديوان قيس بن الخطيم (ط١)، مطبعة العاني، بغداد.
٢٨- ميدان، أيمن، ١٩٩٢ ، ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي (ط١)، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية.
٢٩- نصر، حسن، ١٩٩٣ ، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، شرح الطوسي (ط١) ، دار الكتاب العربي، بيروت.

ثانياً: الدوريات:

١- طاهر، عبدالحسين، وزيد، مولود محمد، ٢٠٠٩ العاذلة في الشعر العربي قبل الإسلام، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة ميسان، مج(٨)، العدد(١٥).
٢- حداد، مصطفى، ٢٠١٢ ، صورة السّلاح في ديوان أوس بن حجر ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد(١٥).
٣-كيالي، نجيب،٢٠١١، أدوات الفروسية في الشعر الجاهلي، مجلة التراث العربي، سوريا، دمشق، العدد(١٢٠-١٢١).

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

١- اللوقة، ناظم خليل،٢٠١١ ، ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي(دراسة دلالية)، (رسالة ماجستير)، جامعة الأزهر، كلية الآداب والعلوم والإنسانية-قسم اللغة العربية، غزة- فلسطين.
٢- صيام، محمد الشيخ محمود، ١٩٨٢ ، المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي، (اطروحة دكتوراه)، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، مكة المكرمة.
٣- نسيمة، بشوطي، مريم، وزواي، صورة الحرب في الشعر الجاهلي – معلقة عنترة بن شداد(أنموذجاً)، (رسالة ماجستير)، جامعة الجلفة، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها.
٤- فراش، إبراهيم عبد الفتاح حسن، ٢٠١٧ ، رثاء النفس في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)،جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا.
٥-رتيبة رقي، نجاح عبابسة، ٢٠١١، حضور الذات الفاعلة في الشعر الجاهلي(معلقة عنترة أنموذجاً)، المركز الجامعي محند أكلي ولحاج البويرة، معهد الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر.

Sources and References:

First: Sources:

1-Ibn Sidah Ali ibn Ismail, 1971, Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam (1st ed.), edited by Ibrahim al-Abyari, Institute of Manuscripts of the League of Arab States.
2-Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram al-Masri, 2000, Lisan al-Arab Dictionary (1st ed.), Dar Sadir, Beirut.
3-Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim (170 AH), (1967), Kitab al-Ayn (1st ed.), edited by Mahdi al-Makhzoumi and Ibrahim al-Samarra'i, Dar and Library of al-Hilal.

4-Al-Qurtubi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Muhammad, 1999, The Compendium of the Rulings of the Qur'an (2nd ed.), edited by Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki, Dar al-Fikr, Lebanon.

5-Atiq, Abdulaziz, 1976, Arabic Literature in Andalusia (2nd ed.), Dar al-Nahda al-Arabiya, Beirut.

6-Zayed Fahd Khalil, 2009, Self-Development: Effective Communication Between Individuals and Groups (1st ed.), Dar Al-Nafayes, Jordan.

7-Al-Muzarbani, Muhammad ibn Imran, 1982, Edited and Commented by: F. Karnko, Dictionary of Poets (2nd ed.), Al-Qudsi Library, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

8-Ahmad Maher, 2003, The Family in Pre-Islamic Poetry (An Objective and Artistic Study) (2nd ed.), Dar Al-Basheer, Amman, Jordan.

9-Tarrad, Majeed, 1994, Diwan Bishr ibn Abi Khazim Al-Asadi (1st ed.), Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon.

10-Tarrad, Majeed, 1992, Diwan Antarah ibn Shaddad Al-Absi, Al-Khatib Al-Tabrizi (1st ed.), Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.

11-Nabawi, Abdul Aziz, 1989, Diwan Bani Bakr in the Pre-Islamic Era (1st ed.), Al-Maydani Press, Cairo, Egypt.

12-Al-Qurashi, Abu Zayd Muhammad ibn Abi Al-Khattab, 1913, Jamharat Ash'ar Al-Arab (2nd ed.), Dar Sadir, Beirut.

13-Tammas, Hamdo, 2004, Diwan Al-Khansa' (2nd ed.), Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon.

14-Al-Dakhili, Hussein Ali, 2011, The Poetic Space of the Thief Poets in the Pre-Islamic and Islamic Eras (1st ed.), Dar and Library Al-Hamed, Amman, Jordan.

15- Hanafi, Saif, 1960, Arab Chivalry in the Pre-Islamic Era (n.d.), Dar Al-Ma'arif, Cairo, Egypt.

16-Faour, Ali Hassan, 1988, Diwan Zuhair ibn Abi Sulma (1st ed.), Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

17-Al-Shamantri, Abu Al-Hajjaj Yusuf ibn Sulayman ibn Abbas (d. 476 AH), 1969, Poetry of the Six Pre-Islamic Poets (3rd ed.), edited by Saad Khafaji, Beirut, Lebanon.

18-Hussein, Muhammad, (n.d.), Diwan Al-A'sha Al-Kabir Maymun ibn Qays, (n.d.), Maktaba Al-Adab.

19-Oghli, Hassan Falah, 1997, Diwan Al-Tufail Al-Ghanawi, Commentary by Al-

Asma'i (1st ed.), Dar Sadir, Beirut.

20-Abdul Rasul, Omar, 1985, Diwan Duraid ibn Al-Samma (n.d.), Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt.

21-Al-Dhabi, Al-Mufaddal bin Muhammad bin Ya'li bin Salim (d.), Al-Mufaddaliyat (6th ed.), edited by Ahmad Muhammad Shaker and Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Ma'arif, Cairo, Egypt.

22-Ali, Jawad (d. 1408 AH), 2001, Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam (4th ed.), Dar al-Saqi.

23-Al-Youssi, Nour al-Din (d. 1102 AH), 1981, Zahr al-Akum fi al-Amthal wa al-Hikam (1st ed.), edited by Muhammad Hajji and Muhammad al-Akhdar, Al-Sharika al-Jadidah, Dar al-Thaqafa, Casablanca, Morocco.

24-Ya'qub, Emile Badi', 1996, Diwan al-Shanfara al-Azdi (1st ed.), Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon.

25-Al-Baghdadi, Abd al-Qadir bin Umar (d. 1093 AH), 1997, The Treasury of Literature and the Core of the Core of the Arabic Language (4th ed.), edited and explained by Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo.

26-Al-Jundi, Ali, (n.d.), War Poetry in the Pre-Islamic Era (n.d.), Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Egypt.

27-Al-Samarra'i, Ibrahim, and Matloub, Ahmad, 1962, The Diwan of Qays ibn Al-Khatim (1st ed.), Al-Ani Press, Baghdad

28-Maydan, Ayman, 1992, The Diwan of Amr ibn Kulthum Al-Taghlabi (1st ed.), Cultural Literary Club, Kingdom of Saudi Arabia.

29- Nasr, Hassan, 1993, The Diwan of Labid ibn Rabi'ah Al-Amiri, Commentary by Al-Tusi (1st ed.), Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut

Second: Periodicals:

1 -Taher, Abdul-Hussein, Zaid, Mawlud Muhammad, 2009, The Censor in Pre-Islamic Arabic Poetry, Maysan Journal of Academic Studies, University of Maysan, Vol. (8), No. (15), December.

2-Haddad, Mustafa, 2012, The Image of Weapons in the Diwan of Aws ibn Hajar, Studies in Arabic Language and Literature Magazine, No. (15).

3 -Kayali, Najib, (n.d.), Chivalry Tools in Pre-Islamic Poetry, Arab Heritage Magazine, Syria, Damascus.

Third: Theses and Dissertations

1-Al-Luqa, Nazem Khalil, 2011, Combat Expressions in Pre-Islamic Poetry (A

Semantic Study), (Master's Thesis), Al-Azhar University, Faculty of Arts, Sciences, and Humanities, Department of Arabic Language, Gaza, Palestine.

2 -Siam, Muhammad al-Sheikh Mahmoud, 1982, Beliefs and Values in Pre-Islamic Poetry, (PhD Thesis), Umm al-Qura University, Faculty of Arabic Language, Mecca.

3 -Nasima, Bashouti, Maryam, and Zawai, The Image of War in Pre-Islamic Poetry - The Mu'allaqa of Antarah ibn Shaddad (as a Model), (Master's Thesis), University of Djelfa, Faculty of Arts, Languages, and Arts, Department of Arabic Language and Literature.

4- Farash, Ibrahim Abdel Fattah Hassan, 2017, Elegy of the Self in Pre-Islamic Poetry, (Master's Thesis), Hebron University, College of Graduate Studies.

5-Ratiba Raqi, Najah Ababsa, 2011 , The Presence of the Active Self in Pre-Islamic Poetry (Antarah's Mu'allaqa as a Model), University Center Mohand Akli and Lahdaj, Bouira, Institute of Arts and Languages Department of Arabic Language and Literature, Algeria